مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 06 العدد 02 جوان 2023 ص ص 133ـ154
ر س ع و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

المرأة الأندلسية والطلاق عصري ملوك الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التُجيبي الأندلسي (529هـ–1115م): دراسة في الأسباب والتداعيات

The Andalusian Woman and Modern Divorce the Kings of the Taifas and the Almoravids through the Nawazils of Ibn al-Hajj al-Tujibi al-Andalusi (529 AH - 1115 CE): A Study of the Causes and Repercussions

ط.د. أوذينة محمد أمين ♦ [1]، طيب بوجمعة نعيمة [2]

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا-جامعة ابن خلدون تيارت
[1] mohamedamine.oudhina@univ-tiaret.dz

جامعة ابن خلدون-تيارت [2] naima.tayebboudjema@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2023/02/12 تاريخ القبول: 2023/06/17 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص: نروم في هذه الدراسة إلى محاولة تقديم صورة من صور الأسرة الأندلسية عصري ملوك الطوائف والمرابطين؛ من زاوية المرأة الأندلسية وقضية الطلاق التي أدت إلى تفكيك أسرتها، وذلك بالاعتماد على نوازل الفقيه ابن الحاج التجيبي الأندلسي الذي كان شاهد عيان على الفترة المدروسة، وعُرف بفتواه كقاضي الجماعة بقرطبة أيام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين.

فمن خلال نوازل الطلاق التي رفعت إليه؛ نرمي إلى محاولة فهم عقلية المرأة الأندلسية ونظرتها للزواج كنوع من دراسة الذهنيات، ومنه فهم طبيعة البيت الأندلسي وكيف كان ينظر لقضية الطلاق، وعليه سنحاول تشخيص أسباب الطلاق بداية بالخصوصيات التي تعلقت بالمرأة الأندلسية؛ سواً تعلق ذلك بالمعايير التي اعتمدتها في اختيار شريك الحياة كشرط الكفاءة مثلا، ومن تم نتتبع الأسباب التي جاءت في نوازل ابن الحاج وأدت لوقوع الطلاق سواء أكانت الأسباب متعلقة بها و بزوجها أو بعائلة أحدهما، والطلاق كما هو معروف لم يكن ظاهرة مقتصرة على المجتمع الأندلسي بل عرفته

♦ المؤلف المرسل

جميع المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، فهي ظاهرة طبيعية وفي أحيان كثيرة تكون الحل الوحيد والأنسب أمام الزوجين.

الكلمات المفتاحية: المرأة الأندلسية؛ الطلاق؛ النوازل؛ ابن الحاج التجيبي؛ الأسرة.

Abstract : In this study, we aim to present an image of the modern Andalusian family, the Taifa and Almoravid kings. From the angle of the Andalusian woman and the issue of divorce that led to the dissolution of her family, by relying on the calamities of the jurist Ibn al-Hajj al-Tajibi al-Andalusi, who was an eyewitness to the studied period, and was known for his fatwa as the congregational judge in Cordoba during the days of Prince Ali bin Yusuf bin Tashfin.

Through the issues of divorce that were raised to him; We aim to try to understand the mentality of the Andalusian woman and her view of marriage as a kind of study of mentalities, including understanding the nature of the Andalusian house and how it viewed the issue of divorce, and accordingly we will try to diagnose the reasons for divorce, starting with the specificities that relate to the Andalusian woman; Together, this relates to the criteria that she adopted in choosing a life partner as a condition of competence, for example, and from the reasons that came in the calamities of Ibn al-Hajj and led to the occurrence of divorce, whether the reasons were related to her and her husband or the family of one of them, and divorce, as is known, was not a phenomenon confined to Andalusian society, but rather It is known to all Muslim and non-Muslim societies, as it is a natural phenomenon and in many cases it is the only and most appropriate solution for spouses.

Keywords : Andalusian woman; divorce; Nawazils; Ibn al-Hajj al-Tujibi; The family.

مقدمة: حظرت المرأة الأندلسية بشكل مُلفت للانتباه في الحياة الاجتماعية بالأندلس؛ وشكلتْ أسرة مثلت حجرها الأساس وخصتها بخصوصياتها، وصبغتها بصفاتها، ومزجتها بطبيعتها، وأسست هي وشريك حياتها أسرة كانت لبنة المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين بالأندلس.

وعند الحديث عن المرأة بالأندلس؛ لا يخفى على المهتمين بالدراسات الاجتماعية ما تحمله المصادر النوازلية الفقهية من مادة تاريخية عن يوميات المرأة الأندلسية، وهذا الذي نلاحظه بشكل مكثف من خلال القضايا الأسرية التي حملتها نوازل ابن الحاج، إذْ

تكتنز العديد من المشكلات التي تعلقت بها، والتي من خلالها يمكننا أن نوضح صورة من صور الأسرة الأندلسية.

ومن بين القضايا التي عانت منها المرأة الأندلسية قضية الطلاق التي هدمت بيتها، وإن كان الطلاق في أحيان كثيرة هو الحل الوحيد لمشاكلها الزوجية والعائلية وحلا لأولادها كي يعيشوا في وسط نفسي متزن.

من هنا جاءت فكرة هذا المقال الموسوم بـ"**المرأة الأندلسية والطلاق عصري ملوك الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التُجيبي الأندلسي: دراسة في الأسباب والتداعيات**"، والذي نهدف من خلاله محاولة معرفة نظرة المرأة الأندلسية لمؤسسة الزواج، ومنه لَمحْ الاختلاف الذي صاحب رؤيتها الخاصة، ومناقشة الأسباب والظروف التي أثرت عليها أو على زوجها وأدت إلى طلاقها، ومنه فهم أسباب الطلاق والتداعيات المترتبة عنه في محاولة منا لصناعة تصور للأسرة بالأندلس من وجهة نظر المرأة، خاصة وأن أحكام الطلاق مستمدة من الشريعة الإسلامية، وكما هو معلوم فقد نظمت الشريعة أحكام الطلاق، فهل التزم بها الزوجان أثناء طلاقهما أم أنهما تأثرا بالعرف والعادات السائدة آنذاك ؟ ومن خلال هذا يمكننا طرح الإشكالية الآتية: كيف تعاملت المرأة الأندلسية مع ظاهرة الطلاق عصري ملوك الطوائف والمرابطين بالأندلس ؟

وجاءت التساؤلات الفرعية التالية: هل أثرت شروط اختيار الشريك في شيوع ظاهرة الطلاق ؟ إلى أي مدى استجابت المرأة الأندلسية للطلاق ؟ وفيما تمظهرت تداعياته ؟

وقد استعملنا المنهج التاريخي في دراستنا هذه، استخلصنا المعلومات التاريخية من النوازل؛ وتتبعنا النوازل المتعلقة بالطلاق، وحاولنا جرد مادتها المتعلقة بالدراسة، وكذا استعمال التحليل والنقد كآلية من آليات المنهج التاريخي، كما استعنا بأداة الإحصاء التي أفادتنا في تتبع نوازل الأسرة بالأندلس، والنوازل الخاصة بالطلاق على وجه أخص.

1-ترجمة ابن الحاج التجيبي الأندلسي:

أجمعت المصادر التي ترجمت للفقيه ابن الحاج على أن اسمه ونسبه الكامل هو "محمد بن أحمد بن خلف بن لب بن بطير"[1] قاضي الجماعة بقرطبة، كنيته "أبا عبد الله"، وعرف بالشهيد، واشتهر باسم "ابن الحاج"[2]، وحلاه الذهبي في ترجمته بالمالكي[3]، وذكره المقري بالقرطبي[4] نسبة إلى بلده قرطبة.

أما عن مولده فقد أجمع المؤرخون ومن ترجم له على تاريخ مولده ووفاته، فالمقربون من تلامذته أمثال ابن بشكوال والقاضي عياض اكتفيا بذكر السنة التي ولد فيها، وعنهم نقل من جاء من بعدهم؛ يذكر ابن بشكوال أن شيخه ولد في "شهر صفر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة 458هـ(1066م)[5]. وذكر لنا المؤرخون وأصحاب كتب التراجم بعض الألقاب التي لازمت عائلته المشهورة "بالعلم والجلالة والحسبْ والنباهة"[6]، ودونوا بعض

1- أبو الفضل عياض، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص: 47. ابن بشكوال، **الصلة**، ج3، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ/1989م، ص: 844. خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمسترقين**، ج5، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ص: 317.

2- أبو الحسن النُباهي، **تاريخ قضاة الأندلس**، نشر: ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948، ص: 102. محمد بن محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ، ص: 132. ابن خير الأموي الإشبيلي، **فهرسة ابن خير**، ج2، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ/1989م، ص: 595. الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ/1989م، ص: 75. أبي الوليد ابن رشد، **مسائل أبي الوليد بن رشد الجد**، ج2، تح: محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، 1414هـ/1993م، ص: 777.

3- شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج19، ط4، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1406هـ/1986م، ص: 614.

4- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج3، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شبلي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـ/1942م، ص: 61. ينظر: عبد الحي بن عماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج4، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1399هـ/1979م، ص: 93.

5- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص: 845.

6- ابن عبد الملك المراكشي **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ج4، تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة بشار عوار معروف، دار الغرب الإسلامي للنشر، تونس 2012م، ص: 46.

الشذرات عن أخباره العلمية التي سردها تلامذته أثناء الجلوس بين يديه للنهل من بحر علمه. فشخصية الرجل العلمية غلبت على حياته الشخصية.

1.1- أسرته:

ينتمي ابن الحاج إلى أسرة علمية عُرفت بالعلم والوقار والوجاهة؛ فوالده هو "أبو محمد أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب بن بطير" قاضي للجماعة بقرطبة، كان عالما بالدين والفتوى، وأخذ عنه ابنه العلم وتلقى منه الأجوبة مكتوبة[7]، أما عمه "أبو إسحاق إبراهيم بن خلف" فهو صاحب الرحلة إلى الحج، يُعد من شيوخ ابن الحاج إذْ أجازه في صفر من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة 491هـ /1098م[8].

وابنه "أبو القاسم محمد بن محمد بن أحمد بن خلف المتوفى سنة 571هـ /1175م" خلف أباه في القضاء، وسلك مسلكه في العلم؛ قال عنه ابن الآبار في معجمه: "من أهل قرطبة، اشتغل بقضاء الجماعة بها، وابن قاضيها الشهيد، تفقه بأبيه وبابن رشد، وأبي عبد الله بن أبي الخيار، كما روى عن ابن عتاب، وأبي بحر، وابن طريف، وجعفر بن مكي، وأبي بكر بن العربي، وغيرهم"[9].

وبهذا يكون ابن الحاج من بيت علم وأسرة عريقة بالأندلس ساهمت في إشعاع الحركة العلمية والثقافية بالأندلس عصري الطوائف والمرابطين.

2.1- شيوخه:

تفقه ابن الحاج على يد كبار شيوخ وعلماء قرطبة وكبار علمائها ممن كانت تُشد إليهم الرحال من مخالف الامصار الإسلامية، ومن حسن الحظ أن كتب التراجم قد حفظت لنا أسماءهم، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر شيخه الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني الأندلسي (ت 498هـ /1105م)، ومحمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي المالكي (ت497هـ /1104م)[10]، وأبو علي بن سُكرة الصدفي السرقسطي المعروف بابن الدراج(ت514هـ /1120م)[11]، والحافظ عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج

7- ابن الحاج التجيبي، **نوازل ابن الحاج**، تح: أحمد شعيب اليوسفي، ج1، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439هـ /2018م، ص: 52.

8- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، عني بطبعه وتعليق حواشيه: محمد بن أبي شنب وألفرد بل، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الدار البيضاء، الجزائر، 1434هـ /2013م، ص: 177.

9- ابن الأبار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ / 1989م، ص: 189.

10- عياض، المصدر السابق، ص: 47.

11- ابن الأبار، **المعجم**، ص: 123.

(ت 489هـ /1096م)[12]، والإمام ابن رزق أبو جعفر أحمد بن محمد الأموي القرطبي شيخ المالكية (ت 477هـ /1085م)، والإمام الأديب اللغوي النحوي خلف بن رزق الأموي المقرئ (ت 485هـ /1092م)[13] وغيرهم الكثير.

3.1- تلاميذه:

خَلَّفَ ابن الحاج عددا كبيرا من التلاميذ الذين تحلقوا حوله، وجلسوا بين يديه، وقصدوا بيته بقرطبة لطلب العلم؛ ويصعب علينا حصرهم في هذا المقال نظرا لكثرتهم فمنهم من أصبح عالما، ومنهم من فاق شيخه في الشهرة، ولا نزايد إن قلنا بأن ابن الحاج التجيبي استطاع أن يكون مدرسة بالأندلس امتدت جذورها إلى بلاد المغرب في الفقه المالكي. ومن أبرز تلاميذه نكتفي بذكر البعض منهم كخلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري القرطبي (ت 578هـ /1162م) صاحب كتاب "الصلة"[14]، والقاضي عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ /1149م) صاحب "المدارك"[15]، وابن خير الاشبيلي (ت 575هـ /1179م) صاحب "الفهرسة"[16]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأنصاري الخزرجي (ت567هـ /1172م)، ومحمد بن خلف بن صاعد الغساني (ت 574هـ /1178م)[17]، وغيرهم ممن تشرفوا بالأخذ عنه والتتلمذ على يديه.

4.1- مكانته العلمية والوظائف التي تقلدها:

بلغ ابن الحاج من الرفعة والمقام الأمر العظيم؛ ما جعل العلماء والأقران وتلاميذه في زمانه ومن بعده يذكرون محاسنه، ويستشهدون بعلمه، فقالوا فيه ما يليق بمكانته ويكفينا شهادة تلميذه ابن بشكوال التي قد تغنينا عن كل الشهادات، فهي بمثابة شهادة عالم لعالم لا تلميذْ لمعلمه؛ وفي هذا يقول صاحب الصلة مادحا شيخه متغنيا بشمائله فذكر على أنه: "كان من جلة الفقهاء، وكبار العلماء، معدودا في المحدثين والأدباء، بصيرا بالفتيا، رأسا في الشورى، وكانت في وقته الفتوى تدور عليه لمعرفته وثقته وديانته، وكان معتنيا بالحديث والآثار، جامعا لها، مقيدا لما أُشكل من معانيها، ضابطا لأسماء رجالها ورواتها، ذاكرا للغريب والأنساب، واللغة والإعراب، وعالما بمعاني الأشعار والسير والأخبار، قيد العلم عمره كله، وعنى به عناية كاملة، ما أعلم أحدا في وقته عنى به

12- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج2، دار التراث للطباعة والنشر، دم ن، د ت، ص: 17.

13- ابن مخلوف، المرجع السابق، ص: 121.

14 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص: 844.

15 - عياض، المصدر السابق، ص: 48.

16 - ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ج1، ص: 264.

17 - ابن عبد الملك الإشبيلي، المصدر السابق، ج4، ص: 407، 202، 223.

كعنايته...وكان في ذاته لينا، صابرا، طاهرا، حليما، متواضعا، لم يُحفظ له جور في قضية، ولا ميل بهوادة، ولا أصغي إلى عناية، وكان كثير الخشوع لذكر الله تعالى "[18].

عاصر ابن الحاج فترة ملوك الطوائف والدولة المرابطية بالأندلس؛ فإذا كان عصر الطوائف عصر ميلاده وفيه كان يُطَّوِفْ بالأندلس ويحصل العلم، فإن فترة المرابطين بالأندلس كانت الفترة التي تقلد فيها المناصب العليا بالدولة على غرار القضاء؛فقد ذكر تلميذه عياض في الغنية أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قلده هذه الخُطة في قوله: "وكانت أمور الأندلس الكبار قد صرفها إليه أمير المسلمين أيام قضائه وفتواه واعتمدَ على فتواه بعد وفاة ابن رشد صاحبه"[19]، وبَيَّنَ فيه أنه تقلد القضاء مرتين "حُمد فيهما أثره، استعفى من أولهما ثم أُجبر في الثانية"[20]، وأما عن تاريخ ولايته القضاء بقرطبة فقد شغل هذه الخطة من سنة 518هـ /1124م إلى سنة استشهاده 529هـ /1134م[21] .

وإلى جانب القضاء اشتغل ابن الحاج بالتدريس؛ فعدد تلاميذه خير شاهد على مزاولته لهذه المهنة، والتدريس من أكثر الوظائف شيوعا في ذلك العصر، لا يتخلى عنها العلماء ولو تم تعينهم في مناصب رفيعة، لأن التدريس عنوان المجد والفضيلة بالنسبة لهم[22]. وأما عن مؤسسة التدريس التي كان يلقي فيها ابن الحاج دروسه فكان المسجد وبيته بقرطبة الحاضن للتلاميذ؛ ودليلنا ما ذكره تلميذه ابن خير على أنه كان يسمع منه بالمسجد الجامع إلى حين وفاته وهو يلقي دروس[23]، وعن داره بقرطبة قال عياض "قرأتُ عليه في داره بقرطبة جميع كتاب غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة وعارضتُ كتابي بكاتبه".[24]

5.1- وفاته:

إن قضية مقتل ابن الحاج التجيبي تعتبر من الأمور المحزنة إذا ما نظرنا إلى معطيات العصر التي عاش فيها فقيهنا، ومدى أهمية مكانته، والخُطة التي كان على رأسها، وما

18 - ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص: 844.
19- عياض، **المصدر السابق**، ص: 38.
20- نفسه، ص: 37.
21- ابن الحاج، المصدر السابق، ص ص: 86. 87. أحمد بن بلخير، قضايا الزواج بالغرب الإسلامي من خلال نوازل ابن الحاج القرطبي ت529هـ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع 2، 2020م، ص: 345.
22- ابن الحاج، المصدر السابق، ص: 78.
23- ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص: 264.
24- عياض، **المصدر السابق**، ص: 48.

صحبته من صراعات فكرية مثلتها أجنحة مختلفة على غرار المتصوفة المتأثرين بأبي حامد الغزالي[25]، أو بعض الفقهاء من ذوي النفوس الضعيفة الذين اتصفوا بالجشع وعاثوا في الأرض فسادا، وظلموا العامة وأرهقوهم بالمطالب والمغارم[26]، وزاد من شدة أزمة العصر ما حدث من إحراق لكتاب "الإحياء" للغزالي[27]، وظهور المهدي ابن تومرت على الساحة السياسية، واستغلاله لهذا الظرف واستعماله كمبرر لمهاجمة المرابطين والفقهاء[28].

وفي ظل هذه الأحداث المتأزمة كتب أحد الباحثين على شكل تساؤل: "القاضي ابن الحاج ضحية لظروف سياسة أم صراعات فكرية"[29]، وذهب حسين مؤنس في تحليله أن عالمنا قُتل لأسباب سياسية، ولم يستبعد تورط رجال الدولة؛ والسبب في رأيه أن ابن الحاج كان يتدخل في أمور العامة والدفاع عن أهل بلده من مظالم الحُكام[30].

وبالعودة إلى المصادر التي ذكرت قضية مقتله نجد بأنها قد اكتفت بوصف الحدث؛ من جملتها ما ذكره ابن بشكوال فجاء كلامه معلقا على الحادثة أن القاضي الشهيد ابن الحاج "لم يزل آخر مدته يتولى القضاء بقرطبة إلى أن قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة، وهو ساجد، لأربع بقين من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ودفن عشي يوم السبت بمقبرة أم سلمة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم، وشهد جمع عظيم من الناس، وأتبعوه ثناء حسنا"[31].

2- نوازل ابن الحاج وأهميتها التاريخية:

لنوازل ابن الحاج أهمية عظيمة لا يمكن لأي باحث في الدراسات الأندلسية عصري الطوائف والمرابطين أن يغض الطرف عنها أو يستغني عنها في موضوع بحثه؛ فقد حملت

25- إبراهيم القادري بوتشيش، حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته العلمية، مجلة المناهل، س16، ع29، وزارة الشؤون الثقافية: الرباط، 1990م، ص: 120

26- عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص: 45.

27- حدث هذا سنة 503هـ/ 1089م في خلافة علي بن يوسف بن تاشفين، بعد أن عزم هو وفقهاء الأمصار بقيادة علي بن حمدين، فحرق كل النسخ حيثما وجدت في المغرب والأندلس، قال صاحب نظم الجمان: "وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألف مثله، سبباً في زوال ملكهم، وانتثار سلكهم، واستئصال شأفتهم". ينظر: ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط2، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص ص: 70-71.

28- عصمت دندش، المرجع السابق، ص: 38.

29- أحمد بن بلخير، المرجع السابق، ص: 343.

30- حسين مؤنس، **شيوخ العصر**، ط4، دار الرشاد للنشر، القاهرة، 1418هـ/1997م، ص: 110.

31- ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، 845.

بين دفاتها العديد من الإشارات الهامة التي تتعلق بالعصر لا سيما ما يخص الجانب الاجتماعي والاقتصادي منه، كما أن لصاحبها باع طويل في سلك القضاء، فهي تستمد قيمتها من قيمة صاحبها، فنحن نتحدث عن قاضي الجماعة بقرطبة والفقيه العالم الذي خلف ابن رشد في الفتوى، ونال ثقة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ليجبره على تولي القضاء واعتماد فتواه.

ظلت نوازل ابن الحاج في خانة التعتيم إلى أن اكتشفها القادري بوتشيش[32]، واعتكف على تحقيقها أحمد شعيب اليوسفي في ثلاث أجزاء نشرت سنة 2018م، خصص محققها الجزء الأول للدراسة، وجاء الجزئين المتبقيين لنوازل الفقيه ابن الحاج في حدود 783 مسألة.

وما جعل نوازله ذات أهمية كبرى؛ تميزها بالواقعية وإغراقها في المحلية، فضلا عن معاصرة صاحبها لكبار العلماء في زمانه كابن عتاب (ت 462هـ/1070م)، وابن رشد الجد (ت 520هـ/1126م)، والقاضي ابن حمدين (ت 521هـ/1126م)[33] وغيرهم، وتتجلى أهمية نوازله في اعتماد كبار العلماء عليها أمثال الونشريسي في معياره، ومحمد بن يوسف الغرناطي في التاج الإكليل في شرح مختصر خليل، والبرزلي في جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام[34].

إذن؛ لا شك أن نوازل ابن حاج شاهدة على عصر صاحبها؛ وكل الأسئلة التي نزلت إليه كانت لا تخرج عن نطاق المعاملات والعبادات، وما كان يعرض من مشكلات يومية لأهل الأندلس، بالإضافة إلى بعض الأسئلة التي كانت ترد إليه من العدوة المغربية، فحملت بهذا في طياتها أحداثا ووقائع تاريخية لا غنى عنها في الدراسات الأندلسية عصري الطوائف والمرابطين، ومادة غنية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي وبدرجة أقل السياسي لا نقف عليها في المصادر التاريخية التقليدية، فبهذا مثلت غنيمة عظيمة وأرضا بكرا للباحثين عصر صاحبها.

32- المرجع نفسه، ص: 116.

33- أنور زناتي، كتب النوازل مصدرا للدراسات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب والأندلس: نوازل ابن الحاج أنموذجا، ضمن مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب المنعقد ببيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، دار المنظومة للنشر، 2018م، ص: 304.

34- ابن الحاج، المصدر السابق، ص: 130.

3- المرأة الأندلسية والزواج على ضوء نوازل ابن الحاج "الكفاءة الزوجية":

اختارت المرأة الأندلسية الرجل المناسب في حياتها الزوجية ولم تكن لتجتمع معه تحت سقف واحد إلا بشروط تؤهله ليكون كُفء لها؛ فجعلت من الحرية، والنسب[35]، والحرفة[36]، شروطاً أساسية في الزواج، كما كانت تنفر من الرجل الذي يَسْكُرْ واعتبرته عيبا في كفاءته؛ خشية خروجه إلى الطرقات وسخرية الصبيان منه[37].

وقد صعب شرط الكفاءة من وصول الرجال إلى بعض النساء، فلم يستطع أصحاب الصنائع الدَنِيَّةِ كالكناسِ[38] والخباز، والحائك، والحجام، والحمامي[39] وما شابه ذلك من الوصول إلى المرأة الأندلسية لمن هي من أهل "المِزْوَاةِ والصنائع الجليلة كالتاجرة والبناية"[40] ونحوها، وزيادة على هذه الخصوصيات اسْتَصْعَبَتْ بعض الأندلسيات القبول بالرجل الفقير وعدت فقره من جملة النقائص في اختيارها، فالفقير بالنسبة لها لا يستطيع ان يلبي حاجياتها ولا الإنفاق على أولادها[41].

ونجد بأن بعض النساء الأندلسيات تميزن بمؤهلات جعلتهن تتزوجن من الخلفاء، والأئمة والفقهاء وكبار رجالات الأندلس[42]، ومن هذه المميزات الفهم والعلم الذي انعكس على مستواها الثقافي فكانت العالمة بمثابة الكفء للقضاة فاستحسنوا عقلها وطلبوا يدها للزواج؛ ودليلنا أن قاضي لوشة قد تزوج من امرأة عالمة بالنوازل والأحكام، ومثله

35- عاب الأندلسيون من لم يراع في عقد النكاح النسب وفي هذا قال الشاعر:

عربي مزوج *** عبده بنت أخته

قبح الله مثل هذا *** ورماه بمقته.

ينظر: مثنى فليفل سلمان الفضلي، **الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين**، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2015م، ص: 93.

36- ابن الحاج التجيبي، **نوازل ابن الحاج**، ج3، تح: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439هـ/2018م.النازلة 781، ص: 684.

37- النازلة 781، ص: 684.

38- النازلة: 781، ص: 686

39- النازلة 781، ص: 685.

40- النازلة 781، ص: 685.

41- النازلة 781، ص: 686

42- علي بن حزم الأندلسي، **طوق الحمامة بن الألفة والأُلاف**، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، 2014م، ص: 11.

قاضي غرناطة أبو القاسم بن هشام بن أبي حمزة تولي القضاء سنة 528هـ /1133م، تزوج من امرأة وصفت بأنها "قد فاقت نساء زمانها في الذكاء والفهم في كل نوع من أنواع العلم"[43].

ومع هذه المظاهر مالت المرأة الأندلسية كذلك إلى جمال وشكل الرجل؛ وهذا طبيعي لما وُصفت به من اهتمام بمظهرها، إذ أشارت نازلة لابن الحاج أن امرأة أندلسية كانت تدعوا جارتها لتجعل لها الحناء بالمطبخ[44]، فتزينها ووسامتها جعلها تفكر في وسامة الخطيب كمعيار لقبولها بالزواج، فذكر ابن الأبار في المقتضب أن نزهون بنت القليعي عرض رجل لخطبتها قبيح الصورة فأنشدت:

عذيريَ من أحمقٍ أَصلعٍ***سفيه الإشارة والمَنزعِ
يَرُوم الوصال بما لو أتى***يروم به الصَفعَ لم يُصفعِ
برأسٍ فقيرٍ الى كئيه***ووجهٍ فقير الى برقعِ[45]

ونستنتج من خلال هذا أن بعض النساء اعتبرن "الكفاءة ومنزلة الرجل" معيارًا أساسيا في قبولها النكاح، وأدخلوا هذه الشروط من ضمن الرضا في عقد القران؛ إلا أن هذا لم يمنع من حدوث الكثير من المشاكل التي كانت بسبب زواجها من رجل غير كفء بالنسبة لها، ما حتم في الكثير من الأحيان إلى تدخل الأولياء والأوصياء في فسخ الزواج بحجة عدم كفاءة الزوج وما يسببه من ضرر لها[46].

43 - مثنى فليفل سلمان الفضلي، المرجع السابق، ص: 92.

44- النازلة 3، ابن الحاج التجيبي، **نوازل ابن الحاج**، ج2، ، تح: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439هـ /2018م. ص: 22.

45- ابن الأبار، **المقتضب من كتاب تحفة القادر**، ط2، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ / 1989م، ص: 216.

46- نسيم حسبلاوي، **المجتمع في الأندلس من خلال كتب النوازل بين القرنين 4-7هـ /10-13م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 1437هـ /2016م، ص: 298.

4- المرأة الأندلسية والطلاق:

بعدما أسست المرأة الأندلسية وزوجها أسرتهما وحاولت القيام بمسؤوليتها اتجاه زوجها وأولادها، كما بادلها زوجها نفس المسؤوليات من الاهتمام المعنوي وواجب الإنفاق[1]، فبعد الاجتماع تحت سقف واحد والأمل في السكينة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2].

وبعد مراسيم العرس نجد أن بعض الأُسر الأندلسية سرعان ما واجهت الطلاق، لأسباب مختلفة كسوء المعاشرة، أو مزاجية الزوجين أو عدم القدرة أحد الطرفين على تحمل المسؤولية وما ينجر عليه من مشاكل وتداعيات قد يذهب ضحيتها الأولاد والزوجان.

فإذا كان الطلاق يأتي في بعض المرات لأسباب واضحة بينها ابن الحاج في نوازله "كالمطلق عليه بالضرر، أو بالجنون، أو الجذام، أو بالبرص، أو لعدم النفقة، أو الإيلاء"[3]، وعلى الرغم من أن هذه الأسباب متجلية وشائعة في جميع الأواسط الاجتماعية ولم يكن المجتمع الأندلسي عصر ابن الحاج بمعزل عنها، نجدها متفشية وشائعة في الأسرة الأندلسية وخالطتها كنوع من المرافقة في الطريق إلى الطلاق، ولكن هذا لم يمنع من وجود أسباب خاصة بالأسرة الأندلسية حملتها كنوع من الخصوصيات وتعلقت بالشرطية الزمانية والمكانية وارتبطت بذهنيات تفكير المتزوجين بالأندلس، أدت إلى تفكك بيتهما وضعفه وانحلاله وهذا ما نرصده من خلال نوازل ابن الحاج التُجيبي الأندلسي.

1.4- عدم البلوغ:

تكشف نوازل ابن الحاج الكثير من القضايا المتعلقة بطلاق المرأة الأندلسية، وتعددت الأسباب واختلفت حسب الظروف، فكان عدم بلوغ الصبية من بينها، إذْ بين ابن الحاج أن "طلاق الصبيَّ يَلْزِمُ"[4] وحد بلوغها الإنبات، والحيض، والاحتلام، وخمسة عشر سنة[5]، إلا أن الكثير من الآباء عقدوا لبناتهم وزوجوهم مبكراً[6]، إذْ أثارت نوازله مسألة تزويج

1- حدد ابن الحاج مقدار نفقة الزوجة في الشهر بـ: "ربعان من دقيق القمح، وثمنان من الزيت، ونصف حمل من الحطب، وأربعة دراهم عن صرف، وهي في الأكل معه مأمورة". ينظر: النازلة رقم 134، ص: 148.

2- سورة الروم: الآية 21.

3- النازلة 481، ص: 479.

4- النازلة 471، ص: 475.

5- النازلة 396، ص: 431.

6- النازلة 1، ص: 21.

الصبية الغير بالغ، ورغم تشديده على رضا المخطوبة في النكاح[1]، كان بعض الأولياء والأوصياء لا يأخذون هذا الشرط بعين الاعتبار، وهذا ما نلمسه في نازلة جاء فيها أن خالاً "زوج بنت أخته قبل البلوع وهي غير محتاجة وهو ليس بوصي ولا حاضر"[2]، وبينت نازلة أخرى أن رجلا تزوج من صبية صغيرة كان قد زوجها له أبوها في حياته، فمات أب الصبية وطلبها الزوج من يد أمها للابتناء بها وهي غير بالغ، فلما كان من أمر الزواج بغضت الصبية الرجل وتدخلت أمها لمخالعتها منه[3]

كما لم يتردد الرجال في خطبة الصبية رغم عدم تجاوزها الثماني سنوات، وتسبب في الكثير من المرات زواجها قبل البلوغ في خسارتها لعقلها ونفسها وفي النهاية طلاقها[4]، كما لم يتردد الرجل قي كبح رغبته من الزواج بالصبية ولو خالفته في الدين أو المذهب، إذ سيطر على بعض الرجال جمالها وانجذبوا إلى حسنها، وهذا ما جاءت به إحدى النوازل لابن الحاج في رجل أعجب بصبية من أهل الشيعة ذات جمال وحسن وراح يبحث ويسأل عن الفتوى ليتزوجها[5]، كما تسبب زواج الصبية غير البالغ في موتها وبلغب البعض الجفاء عليها بالتعنيف في الوطء لدرجة الموت ودفع الدية[6].

وهذا ليس بالغريب فقط عانت المرأة الأندلسية من التدمية وأصابها زوجها بجروح متفاوتة على وجه العمد؛ تسببت في دخوله إلى السجن[7]، وبالحديث عن معاناتها من ظاهرة الضرب والتدمية يخبرنا ابن الحاج في إحدى نوازله؛ أن امرأة تسمى فاطمة بنت أبي القاسم أشهدت قبل وفاتها شهودًا على زوجها عبد السلام بن أبي يحي بن محمد بن سليمان المعروف بابن صاحب الصلاة، وأخبرتهم أن قد اعتدى عليها بست جروحات في جسمها "أحداها بمؤخر رأسها واثنتان منها بجنبها الأيسر حيث مرجع كتفها من الجهة المذكورة، والرابعة بظهرها مائلة إلى الجنب الأيمن، والخامسة برأس منكبها الأيمن، والسادسة تحت إبطها من الجهة اليسرى تجد منها ألم الموت"[8].

1- النازلة 38، ص: 53. النازلة 39، ص: 55.
2- النازلة 41، ص: 58.
3- النازلة 1، ص: 21.
4- النازلة 332، ص: 360.
5- النازلة 94، ص: 108
6- النازلة 623، ص: 569.
7- النازلة 220، ص: 224.
8- النازلة 339، ص: 380.

2.4- غياب الزوج:

كثيراً ما عنيت المصادر التاريخية والنوازلية في الفترة الوسيطة بمسألة غياب الزوج؛ فهي العادة التي صاحبت الأسرة المغربية والأندلسية بعد أن تلونت بمعطيات العصر، وجعلت الرجل دائم الترحال والتنقل والمغيب عن زوجته، فظاهرة غياب الزوج وان اخْتَلَفَتْ مُحفزاتها فلم تخرج عن نطاق التجارة، أو تحصيل العلم، أو أداءٍ لفريضة الحج، أو زيارة الأماكن المقدسة، كما تسببت الحروب وأحداث العصر السياسية في مغيب الأزواج وفقدانهم.

المُلفت للنظر أن ظاهرة الغياب أرقت المرأة الأندلسية فلم ترض بغياب زوجها، وذلك لما يترتب عليه من خصاصٍ ماديي وعجزٍ على النفقة؛ هذا ما جعَلَ النساء يشرطن عدم غياب الزوج مقررا في عقد نكاحهم[1]، فأفتى ابن الحاج أن العصمة لا تنقطع عن زوجة الغائب أو المفقود إلا بثبوت موته[2]، وحاول أن يحدد مدة الغياب فضرب لها الأجل في حدود الأربع سنوات، وأفتى للزوجة بحق الميراث إذا بقيت في عصمة زوجها وثَبَتَ موته أو انقضاء تعميره في حدود السبعين سنة[3].

إلا أن مشكلة الغياب تسببت في الكثير من المرات في تفكك وانحلال الأسرة الأندلسية وطلاق الزوجة، إذ تبين إحدى النوازل أن امرأة ضاقت من الفاقة في غيبة زوجها وراحت تطلب نفقتها، فبين الفقيه ابن الحاج انه يمكن للإمام أن يطلقها طلقة واحدة ويأمرها بعدة من يوم الطلاق، فان قدم الزوج موسرا في العدة كان أحق بها وإلا فقد بانَتْ منه[4].

3.4- الغضب:

لم يسيطر الرجل على أعصابه ولم تكن المرأة الأندلسية لتتمالك نفسها في الغضب؛ مما أدى إلى المشاجرة بين الزوجين وتبادلٍ للكلام[5] يصل في الكثير من المرات إلى الطلاق[6]، وتسببت المشاكل الزوجية في إرهاق الحالة النفسية للأسرة الأندلسية، وانعكس سلباً على الرجل والمرأة، إذ بينت نازلة لابن الحاج أن رجلاً أصبح يحدث نفسه

1- بن خيرة رقية، الأسرة وقضية غياب الزوج الطويل بالغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي -محاولة لرصد واقع الأسرة ومشاكلها-، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 4، ع2، ديسمبر 2020م، ص: 251.

2- النازلة 469، ص: 474.

3- النازلة 468، ص: 474.

4- النازلة 74، ص: 93.

5- النازلة 10، ص: 31.

6- النازلة 26، ص: 43.

بطلاق زوجته وهو لم ينوى ذلك[1]، وزاد الفقهاء عليه بفتواهم " أن الطلاق قد لزمه"[2]، لولا تدخل الفقيه ابن الحاج الذي خالفهم بفتواه وصرح أن الطلاق لا يلزمه إن كان لم ينوه ولم يُجمع عليه[3].

وتعددت أسباب الطلاق وتلونت بعبارات متباينة؛ فجرى بالبعض "الغضب" أن بالغ في تطليق زوجته إلى يوم القيامةِ[4]، ولم يتردد آخر في تهديد زوجته بالطلاق وان لم يكن لها حول ولا قوة في بعض الأمور؛ إذ أشارت إحدى النوازل بأن رجلا هدد زوجته بالطلاق إن مات ابنه[5]، وكثيرا ما حرم الرجل على نفسه زوجته ولم يتمالك نفسه بقوله "هي لا تحل لي"[6].

4.4- السكن مع العائلة:

لم تطلب بعض الأندلسيات بيتاً خاصاً ولم تشترطه في صداقها؛ واكتفت بالعيش مع أهل زوجها وتشاركت الدار والقوت معهم وكل ما كان يشتريه زوجها أو أهل زوجها[7]، وبالرغم من وجود علاقة جيدة مع أم زوجها التي كانت تقف في وجه ابنها مدافعة عنها إن أراد تطليقها[8]، إلا أن هذا لم يمنع من وجود مشاكل كثيرة بسبب السكن مع العائلة؛ إذ بينت إحدى النوازل التي حفظها لنا ابن الحاج في امرأة كانت دائمة المشاجرة والمخاصمة مع أم زوجها، وكانت دائمًا ما تتسبب في خروجها من البيت، ما حَتَمَ من تدخل ابنها في المشاجرة ووقوفه مُدافعا عن أمه بل وتطليق زوجته[9]، وقد تكثر المشاكل بسبب العيش مع عائلة الزوج ما يستدعي تدخل أهل الزوجة، وقد "يحرضانها على زوجها ويسعيان في بت عصمتها منه"[10]، واعتبر ابن الحاج أبواها آثمان عند الله عز وجل ان فعلا هذا ولا يحل لهم ذلك[11].

1- النازلة 7، ص: 26.
2- النازلة 7، ص: 26.
3- النازلة 7، ص: 26.
4- النازلة 11، ص: 31.
5- النازلة 12، ص: 32.
6- النازلة 27، ص: 43.
7- النازلة 6، ص: 25.
8- النازلة 27، ص: 43.
9- النازلة 13، ص: 33.
10- النازلة 134، ص: 148
11- النازلة 134، ص: 148

5.4- تعدد الزوجات:

عُرف عن المرأة الأندلسية مثل أي امرأة أخرى مقتها وعدم قبولها بالتعدد؛ وبتصفحنا لنوازل ابن الحاج نجد هذه الظاهرة حاضرة في المجتمع الأندلسي وحتى المجتمع المسيحي؛ بحيث بينت لنا إحدى النوازل أن رجلا أسلم وله من تعداد الزوجات ما بلغ العشر نسوة[1] وآخر الأربعة[2]، غير أن بعض النساء الأندلسيات لم تقبلن بهذه الظاهرة، ما جعل الرجل يتطوع في صداقه لزوجته؛ ويشترط على نفسه بأن لا يُدخل عليها أي امرأة من دون إذنها ويتعهد بقوله: "الداخلة عليها بغير إذنها طالق"[3]، وبالرغم من أن الرجل كان يتحايل في شرطه هذا وسرعان ما يخالفه ولا يلتزم به، مما يتسبب في مشاكل بين الزوجين وتدخل أهل الزوجة ما انجر عليه الطلاق في الكثير من الحالات[4].

وتحدثنا كتب النوازل أن المرأة الأندلسية كانت لا تقبل بالرجل المُطلق وهو يتقدم لخطبتها؛ مخافة عودته لزوجته الأولى، ما جعل الخاطب يكذب ويتلاعب في شروط الصداق فيلتزم بشروط أثناء الخطبة ثم يُسقطها عنه بعد الزواج، وهذا ما بينته نازلة يرصدها لنا ابن الحاج جاء فيها: أن رجلا طلق زوجته الأولى وتقدم لزوجة ثانية في صداق التزم فيه أن "زوجته فلانة التي طلقها لا تحل له أبدا لا قبل زوجٍ ولا بعد زوجٍ مدة حياته"[5]، إلا أن الرجل وبعد أن تزوج من الثانية قام بتطليقها من أجل الرجوع إلى الزوجة الأولى فمنعته صاحبة الصداق المذكور؛ وقد أفتى ابن الحاج أنه يجوز للزوج أن يتزوجها وما قاله في صداقه كذبة وتطريد "وإنما أراد تطيب نفسها بذلك وبحيلة يتوصل بها إلى نكاحها ويُسقط عنه الشرط المذكور"[6].

5- تداعيات الطلاق:

لم تمر قضية طلاق المرأة الأندلسية من دون أن تخلف وراءها تداعيات ومآلات انعكست سلباً على حياتها وصعبت من ممارستها؛ انعكست سلبا على حياتها وحياة زوجها وأولادها، فمن بين التداعيات:

1.5- محاولة الوصال والرجعة:

لم يكن لأي رجل أن يرضى بطلاق زوجته وشريكة حياته، ما جعل البعض يغرق في الندم والحسرة ويفكر في العدول عن قراره ومحاولة الوصال والرجعة من جديد؛ فبحث

1- النازلة 314، ص: 344.
2- النازلة 315، ص: 345.
3- النازلة 9، ص: 30.
4- النازلة 9، ص: 30.
5- النازلة 29، ص: 45.
6- النازلة 29، ص: 45.

الزوج عن الفتوى ورفع قضية الطلاق الى ابن الحاج ومن معه من فقهاء الأمصار؛ غير أنهم كانوا حازمين في هذه القضية ولم يتوانوا فيها، وقد اتفقوا على أن من قال لامرأته: "أنت طالق، أن له ارتجاعها وإن كرهت ذلك في العِدةِ إذا كانت مدخولا بها، واتفق الجميع على أن المُخالعَ لا سبيل إلى ارتجاعها وأنها أملك لنفسها"[1].

وجاء في نوازل ابن الحاج أن رجلاً سارع إلى تحريم زوجته على نفسه وحَلَفَ بالأيمان إن كانت له بامرأة؛ ما جعل فقيه غرناطة أبو محمد عبد الواحد بن عيسى يعتبر هذا الأمر بمثابة طلقة واحدة تملك بها الزوجة نفسها ويجوز لزوجها ان يراجعها متى شاء[2]، وجرى بالبعض تطليق "امرأته ثم يطأها في العدة وهو لا ينوي بها الرجعة"، وقد بين ابن الحاج أن "وطأه لا يكون رِجعة، وأن المرأة عليها شيئان: عدة واستبراء"[3]، كما اشترط ابن الحاج على الذي يطلق زوجته "طلقة واحدة للسنة ثم انه قدر عليه فأغواه الشيطان فجامعها ولم ينوي بذلك الرجعة" أن استرجاعها لا يكون إلا باستبراءٍ وولي وصداقٍ وشهود على رضاهما بالارتجاع"[4].

2.5- الأبناء ضحية الطلاق:

عانت الأسرة الأندلسية من ظاهرة الطلاق؛ وعلى الرغم من تسبب الزوجين في هذه الظاهرة إلا أن الحِمل الأكبر كان ينعكس على الأولاد الذين كانوا دائما ما يذهبون ضحية له؛ فمن بين تداعيات هذا الطلاق والآثار المترتبة عنه الانقطاع عن رؤية الأم خصوصاً إذا تزوجت وتركت حضانتهم للأب؛ مما يترتب عليه فقدان حضن الأم والفراغ العاطفي، وهذا ما نجده في نازلة من نوازل الفقيه ابن الحاج بينت لنا أن امرأة مطلقة تزوجت بزوجٍ ثانٍ وكان يتدخل في زيارتها لأبنائها من زوجها الأول ولا يقبل بخروجها لرؤيتهم ويحظرها من ذلك، فلما سئل ابن الحاج عن الأمر أفتى بأن يحملهم الأب إلى أمهم ويكون الكراء في ذلك عليها[5].

1- النازلة 473، ص: 476.
2- النازلة 27، ص: 43.
3- النازلة 297، ص: 322.
4- النازلة 100، ص: 119.
5- النازلة 32، ص: 48.

كما يكشف لنا التنقيب في متون نوازل ابن الحاج تلك النظرة الدنية للمرأة المطلقة؛ وتخوفها من التهم التي قد تصاحبها بعد طلقها، فلم ترضى بالطلاق وراحت تحاول إثبات خلافه ولو بعقدٍ آخر[1]، فلم تسلم لا هي ولا أولادها من نظرة المجتمع ما جعلها تقوم برمي ابنها في الشارع؛ ففي نازلة جاء فيها أن: "امرأة طلقها زوجها فبقيت أزيد من عامٍ ثم ولدت فطرحت ولدها فعُثر على ذلك، فقالت: ولدته من زوجي وخفت أن يقام عليَّ الحد"[2].

ومن الآثار المترتبة على الطلاق والتي كانت تمس الأولاد والمطلقة سلبهم حريتهم وتحويل الحرة إلى مملوكة والصبي الحر إلى مملوك؛ فبتتبعنا لنوازل ابن الحاج وجدنا أن "امرأة من أهل بطليوس كانت ذات زوج زالت عن عصمته ثم تزوجها زوج آخر وقدم بها قرطبة وباعها وابنتها من زوجها الأول على أنهما مملوكتان له" فضربت سبعين سوطاً عند صاحب المدينة عقوبة لها لرضائها بيع نفسها[3]، كما كان يتحايل الرجال على الصبية الأحرار ويقومون بالتلاعب بحرياتهم؛ ففي سنة ست عشرة وخمس مائة (516هـ-1102م) باع رجل صبياً حرًا بمالقة وثبت عليه انه يعرف حريته، ما جعل ابن الحاج يتدخل ويفتي بأن "يُضرب الرجل مائة سوط وأن يضرب الصبي اثنتي عشر درَّةً"[4].

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع "المرأة الأندلسية والطلاق عصري ملوك الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن الحاج التُجيبي الأندلسي: دراسة في الأسباب والتداعيات"، يمكننا تدوين الملاحظات التالية:

أثار ابن الحاج في نوازله الكثير من القضايا المتعلقة بالأسرة في الأندلس، والتي يمكن من خلالها للباحث أن يُكَّون صورة عن الأسرة الأندلسية عصري الطوائف والمرابطين، انطلاقاً من المصادر النوازلية الأخرى وما حملته الكتب التاريخية التقليدية، بالإضافة إلى ما فصل فيه ابن الحاج من مشاكل لم ترد في المتون الأخرى.

تحلت بعض نساء الأندلس بصفات مميزة، فلم ترض بعضهن بالبقاء تحت عتمة الجهل، فكانت منهن العالمة المتعلمة، وشاركت الأخرى الرجل ميدان العمل فوجدنا لتظهر التاجرة والمشتغلة بالأرض والفلاحة زيادة على امتهانها بعض الحرف الجليلة، وعلى هذا تظهر ذهنية المرأة الأندلسية وتميزها الذي أدى بها إلى السعي لإثبات نفسها وحيازة

1- النازلة 42، ص: 59.
2- النازلة 595، ص: 549.
3- النازلة 598، ص ص:549. 550.
4- النازلة 598، ص: 550.

مكانة هامة في المجتمع الأندلسي، وانعكس هذا على تفكيرها في قبول الخطبة، إذ حاولت ان تضع شروط على الخاطب، ما صعب على الرجل الفقير صاحب الحرفة البسيطة طلبها للزواج، وهذا ما أسس لنوع من الطبقية في تشكيل الأُسر.

-انتشر الطلاق في الأندلس وتعددت أسبابه وانعكس سلبا على المجتمع، مما أدى الى ظهور مشاكل اجتماعية خطيرة راح ضحيتها أطراف الأسرة بمجملها، فمن أسبابه: عدم النفقة، وغياب الزوج، أو الغضب الذي كان يؤدي إلى التدمية والتطليق، أو عدم بلوغ الصبية واستعدادها للزواج وغيرها من الأسباب التي اثارتها نوازل ابن الحاج، وكل هذا لم يكن ليمر دون تداعيات وأثر نفسي على المرأة المطلقة، مما تسبب في خسارتها لعقلها ونفسها، وزاد من أزمتها نظرة المجتمع الدونية لها، وتعدى ذلك إلى الأولاد الذين كانوا يذهبون ضحية لهذا الطلاق، فلم يسلموا من استغلال المجتمع، فسلبهم البعض حريتهم وعاملهم البعض على أساس عبيد، كما أجبروا على القيام بأعمال لم يرغبوا فيها.

- لم تنل قضايا الأسرة نصيبها الكافي من البحث؛ فالواجب على الباحثين ان ينكبوا على مثل هذه الدراسات خصوصاً اننا في حاجة ماسة إليها في الوقت الحالي، فمن خلال البحث يمكننا فهم المشاكل والمتغيرات التي حصلت في الأسرة المعاصرة بالرجوع الى العصر الوسيط، ومنه إمكانية إعطاء حلول تتماشى مع العصر بناء على الماضي، على مقاس القاعدة التاريخية "قياس الغائب بالشاهد"، من أجل المحافظة على اللبنة الأولى المؤسسة للمجتمع.

نوازل الأسرة من مجمل نوازل ابن الحاج*	عدد النوازل
قضايا الطلاق	39
قضايا الزواج	84
قضايا متفرقة تتعلق بالأسرة	63
قضايا الجواري والخدم والعبيد المتعلقة بالأسرة	19
قضايا الهبة والحبس المتعلقة الأسرة	14
قضايا النفقة	13
قضايا السكن	7
قضايا الحضانة	3
المجموع	**242 من 783**

ملحق: جدول احصائي يمثل عدد النوازل المتعلقة بالأسرة، ونوازل الطلاق التي اعتمدنا عليها من مجمل نوازل ابن الحاج.

*** من اعداد الباحثين.**

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1 - ابن الحاج التجيبي، **نوازل ابن الحاج**، ج1، ج2، ج3، تح: أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان، 1439ه /2018م.

2- ابن بشكوال، **الصلة**، ج3، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410ه /1989م.

3- ابن رشد أبو الوليد، **مسائل أبي الوليد بن رشد الجد**: تح: محمد الحبيب التجكاني، ج2، ط2، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، 1414ه /1993م.

4- ابن عماد عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج4، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1399ه — 1979م.

5- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، عني بطبعه وتعليق حواشيه: محمد بن أبي شنب وألفرد بل، دار الأبحاث للترجمة والنشر، الدار البيضاء، الجزائر، 1434ه /2013م.

6- ابن الأبار، **المعجم في أصحاب القاضي الصدفي**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410ه / 1989م.

7- ابن الأبار، **المقتضب من كتاب تحفة القادر**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط2، 1410هـ/ 1989م.

8- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ج2، دار التراث للطباعة والنشر، دم ن، د ت.

9- ابن القطان: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1990م.

10- ابن خير الأموي الأشبيلي، **فهرسة ابن خير**، ج2، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ/1989م.

11- ابن عبد الملك، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ج4، تح: إحسان عباس، محمد بن شريفة بشار عوار معروف دار الغرب الإسلامي للنشر تونس 2012م.

12- ابن حزم الأندلسي علي، **طوق الحمامة بن الألفة والأُلاف**، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، المملكة المتحدة، 2014م.

13- ابن مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1349هـ.

14- أحمد بن بلخير، قضايا الزواج بالغرب الإسلامي من خلال نوازل ابن الحاج القرطبي ت529هـ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج4، ع 2، 2020م.

15- عياض أبو الفضل، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.

16- الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمسترقين**، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م.

17- النُباهي أبو الحسن، **تاريخ قضاة الأندلس**، نشر: ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1948،

18- الضبي أحمد بن يحي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1410هـ/1989م.

19- الذهبي شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، ج19، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1406هـ/ 1986م.

20- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج3، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شبلي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361ه /1942م.

21- بوتشيش إبراهيم القادري، حول مخطوط نوازل ابن الحاج وأهمية مادته العلمية، مجلة المناهل، س16، ع29، وزارة الشؤون الثقافية: الرباط، 1990م.

22- دندش عصمت عبد اللطيف، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408ه / 1988م.

23- مؤنس حسين، **شيوخ العصر**، دار الرشاد للنشر، القاهرة، ط4، 1418ه /1997م.

24- زناتي أنور، كتب النوازل مصدرا للدراسات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب والأندلس: نوازل ابن الحاج أنموذجا، ضمن مؤتمر التأريخ العربي وتاريخ العرب المنعقد ببيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، دار المنظومة للنشر، 2018م.

25- الفضلي مثنى فليفل سلمان، **الحياة الاجتماعية في الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين**، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2015م.

26- حسبلاوي نسيم، **المجتمع في الأندلس من خلال كتب النوازل بين القرنين 4-7ه /10-13م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 1437ه /2016م.

27- رقية بن خيرة، الأسرة وقضية غياب الزوج الطويل بالغرب الإسلامي خلال العصر المرابطي -محاولة لرصد واقع الأسرة ومشاكلها-، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 4، ع2، ديسمبر 2020م.